الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ
عمدة الإذاعة

بيان لشهر تشرين ألاول 2023

العمل لخير المجتمع

"نحن نذكر الذين عملوا لصالح المجتمع وخيره"

سعادة، آذار 1938.

لا شكّ أنّ أيّ ناظرٍ للحال التي وصلنا إليها في مجتمعنا السوري في كلّ كياناته يدرك تمامًا أنّ الخطّ البيانيّ الذي يفترض أن يكون تصاعديًّا، هو في انحدار ينذر بشرّ مستطير. ولا ريب في أنّ هذا المستوى من الانحدار ليس ابن ساعته، ولم يأتِ من فراغ، بل هو ناتج سلسلةٍ من التراكمات السلبيّة النافرة التي أنّ منها الشعب، وما زال يئن، غير دارٍ أنّه هو المسبّب الرئيس لها، كونه يجهل أو يتجاهل كلّ ما من شأنه أن يصوّب العمل لصالح الكل؛ علمًا أنّ عوامل أخرى داخليّة وخارجيّة ساهمت في هذا الانحدار .

فإذا كان الشعب يجهل، فمن المنطقيّ والضروريّ أن يبحث عن الطرق التي تنقذه من هذا الوضع الرديء في سلسلة من التجارب التي لا بدّ أخيرًا أن تخرجه من هذا النفق المظلم. وإن كان يدرك سبيل الخروج منها ولا يقدم على ذلك فهو آثمٌ منافقٌ لا بل هو مجرمُ بحقّ نفسه أولًا ومن ثمّ بحقّ المجتمع. ومن الضروري أن يحاسب على فعلته الشنعاء التي لا يمكن التسامح بشأنها.

نقول هذا ونحن على دراية مطلقة بأنّ الحديث عن الشعب لا يعني مجمله بل غالبيّته، باعتبار أنّ الذين وعوا حقيقة العمل البنّاء لم يتمكّنوا،كما يريدون، من تحويل المسار السلبيّ الطارئ إلى ما هو في مصلحة حياتنا السوريّة، رغم عملهم المتواصل لضبط مسار العمل على إيقاع المصلحة الاجتماعيّة؛ وبالتالي فإنّ المسؤوليّة تقع على الضالين والغافلين والمرتبطين، على أولئك الذين يجهلون ويغفلون أنّ تأمين الحياة الجيّدة ينعكس إيجابًا على حياة الكلّ، بما فيهم هؤلاء الذين يغلّبون منافعهم الفرديّة على المصلحة القوميّة العليا. علمًا أنّهم يئنّون من الأوضاع المختلة التي تصيبهم في صميم معيشتهم اليوميّة. فالبكاء على الأطلال والتباكي من سوء الحال لم يغيّر ولن يغيّر الأوضاع المهترئة ويضعها على خطّ التقدّم والازدهار.

ماذا نقول، مثلًا، عن مزارع، يفترض أن تكون الأرض قد أودعته بعضًا من عطائها وصفائها وشفافيتها، حين يحاول أن يستعين بأساليب تزيد من أرباحه وتحدّ من الجودة الزراعيّة التي هي الأساس في عمليّة الإنتاج السليم، لا بل الإنتاج الجيّد؛ والأنكى أنّه لا يكترث لما قد يصيب أهله وأقرباءه من جرّاء هذا الالتواء الأخلاقيّ في عمله الزراعيّ. فهو وإن كان، من زاوية فرديّته وأنانيّته، يتجاهل الآخرين من غير الأهل والأقارب، أفلا يضع في الحسبان من هم من لحمه ودمه!؟ فهو في ذلك يشكّل رديفًا للمافيات الزراعيّة التي تستغلّ ما أمكن من الاستغلال لخدمة جشعهم وأنانيتهم.

والصناعيّ الذي ينتج ما يسهّل العمل ويصدّر ما يزيد على الاستهلاك الداخلي، تراه يتلاعبُ بالمنتج فيسيء إلى جودة الصناعة، كما يسيء إلى بلده وإلى مجتمعه، كما إلى نفسه، ويخسر في السياق وإن أمّن أرباحًا آنيّة؛ يستسلمُ لرغباته الخاصّة وكأنّه في عالمٍ معزولٍ لا تجمعه مع الآخرين روابط القوميّة أو حتّى المتّحديّة الضيّقة، غيرِ دارٍ أنّه أشبه بالقطّ الذي يلحس المبرد.

والتاجر، وما أدراك ما التاجر في بلادنا، يتاجر على حساب أخلاقه وعائلته وأبناء متّحده بنهمٍ لا حدود له، وتجارته لا تقف عند حدّ المحرّمات إذ لا محرّمات في دائرة تجارته. ينهش لحم أبناء جلدته دون شفقة أو رحمة، اللهمّ إلّا قلة قليلة تدرك بوعيها والتزامها الأخلاقيّ أنّ ما فينا من الأمّة ولها، وأيّ خللٍ يتسرّب إلى الشأن التجاريّ أو إلى أيّ شأنٍ آخر لا بدّ وأن يؤثّر على حياتنا العامّة.

ولا يقف الأمر عند حدود هذه الشؤون، بل يتجاوزها إلى مفاصل وظيفية في حياتنا الإداريّة، تشكّل العمود الفقري في البناء الاجتماعيّ أبرزها الحقل التربويّ. فالقطاع التربويّ رافعة أساسيّة من روافع البناء الاجتماعي؛ بنجاحه نجاح للمسار البنائيّ وبفشله انحدار إلى مهاوٍ تنذر بسقوطٍ مريع. في هذا القطاع اختلال فاضح منه ما هو مقصودٌ ممّن لا يريد قيامة حقيقيّة

لحياتنا التربويّة، ومنه ما هو ناتج جهلٍ تتراكم آثاره السلبيّة جيلًا بعد جيل وتنشر حالة من الفوضى لا تخدم إلّا من يريد شرًّا بحياتنا القوميّة.

وليست الحالة التربويّة المختلّة ناتجة فقط من المسؤولين المباشرين عنها رسميًّا، بل أيضًا من العاملين فيها كمربّين خاصة في القطاع العام، كون القطاع الخاص يفرض قيودًا على العاملين في نطاقه وهو قادر على اتّخاذ إجراءات بحق المربّين المخلّين بواجباتهم؛ الأمر الذي بات غير متوفّر في القطاع العام. وعليه فإنّ سوسة الفوضى قد نخرت جسد القطاع وبات في حالة أقلّ ما يقال فيها إنّها حالة مهترئة. وفي هذا السياق لا بدّ من الاعتراف بسوء الحالة الاقتصاديّة التي تنعكس على جوهر حياة العاملين في هذا الحقل، لكنّ ذلك لا يسمح لهم بانتهاج مسلك مثالبيّ يلوّث صفاء رسالتهم وجوهر حياتهم.

وفي جولة على مجمل الحقول الحياتيّة الأخرى، نكتشف بما لا يقبل الاعتراض أنّ السوءات التي أصابت الشؤون الحياتية الرئيسة هي نفسها أو ما يشبهها قد أصابتها وأدّت إلى ما أدت إليه.

ورغم هذه الانحدارات البارزة، والتي قد تصيب أيّ شخص في صميم تحفّزه ونشاطه، وتشدّه إلى حالةٍ من الإحباط، فإنّ الأمل المرتكز على وقائع تاريخيّة ونفسيّة يفترض أن يحصّن أهل الوعي ولا يدع أيّ إحباطٍ يتسرّب إلى نفوسهم؛ وليس من بابٍ شعريّ، بل من واقعٍ متجذّر في عمق حياتنا القوميّة كان تأكيد سعادة :" إنّ فيكم قوّة لو فعلت لغيّرت وجه التاريخ" و " ما أعظم رضاي عنكم وما أشدّ اعتزازي وما أروع الانتصار الأخير الذي أسير بكم إليه"، "إنكم ملاقون أعظم انتصار لأعظم صبرٍ في التاريخ" .

في السادس من تشرين ألاول 2023

لتحيَ سورية وليحيَ سعادة
عميد الإذاعة في الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ
الرفيق نايف معتوق

أجاز نشر هذا البيان رئيس الحزب الرفيقة جوليات فيّاض حبيب.